سلسلة دراسات حضارات العالم القديم

الجزء الثالث: الدولة الحيثية وتاريخ الرومان (الملكية والجمهورية والإمبراطورية)

المبحث الأول: الدولة الحيثية في هضبة الأناضول والتمدد الإمبراطوري

تعد الدولة الحيثية إحدى أكبر القوى العظمى التي شهدها الشرق الأدنى القديم في الألف الثاني قبل الميلاد. استقر الحيثيون، وهم شعوب تنتمي للمجموعة اللغوية الهندوأوروبية، في هضبة الأناضول (تركيا الحالية) ودمجوا ثقافتهم مع سكان المنطقة الأصليين (الحاتيين).

1. التطور التاريخي للمملكة الحيثية:

مر التاريخ السياسي للحيثيين بمركبي الدولة القديمة والإمبراطورية العظمى المنافسة لمصر وبلاد الرافدين:

المرحلة التاريخية	أبرز الملوك والحكام	أهم الأحداث والإنجازات السياسية والعسكرية
تأسيس المملكة القديمة (نحو 1600 ق.م)	لابارناس (Labarnas) و إنيتا.	توحيد دويلات الأناضول واتخاذ مدينة "كوشار" عاصمة، وبروز لقب الملك.
عصر التوسع وتدمير بابل	خاتوسيليس الأول و مورسيليس الأول.	نقل العاصمة إلى **خاتوشاش (Hattusa)**، واختراق شمال الشام والإجهاز على الدولة البابلية القديمة (1530 ق.م).
عصر الإمبراطورية الحديثة (1380 – 1200 ق.م)	شوبيلوليوما الأول و مواتلي.	تأسيس الإمبراطورية العظمى، فرض السيطرة على شمال الشام، ومواجهة مصر الفراعنة في **معركة قادش (1274 ق.م)**.

> ⚔️ **معركة قادش وأول معاهدة سلام مكتوبة في التاريخ**
>
> خاض الملك الحيثي **مواتلي** مواجهة فاصلة ضد الفرعون المصري **رمسيس الثاني** عند مدينة قادش على نهر العاصي. أسفرت الحرب عن توازن القوى، وتوجت لاحقاً بعقد **"معاهدة سلام قادش" (1259 ق.م)** بين رمسيس الثاني والملك الحيثي خاتوسيليس الثالث، والتي تضمنت بنود عدم الاعتداء، وتحالفاً دفاعياً مشتركاً، وتبادل اللاجئين السياسيين.

2. التنظيم السياسي والقانوني الفريد للحيثيين:

- **الملكية الحيثية:** لم تكن ملكية إلهية مطلقة كما في مصر، بل كان الملك يعتبر الكاهن الأعظم والقائد العسكري الأعلى، وتسانده الملكة الأم التي تحمل لقب **"تافانا" (Tawananna)** وتتمتع بنفوذ سياسي وديني مستقل.
- **مجلس البانكو (Panku):** مجلس من الأشراف وقادة الجيش يراقب أداء الملك ولديه صلاحية البت في قضايا الخلافة ومحاكمة كبار أفراد العائلة الملكية.
- **التشريع والقانون الحيثي:** تميز القانون الحيثي بكونه أكثر إنسانية مقارنة بشريعة حمورابي؛ حيث ألغى العقوبات البدنية والتشويه والقتل في معظم الجرائم معوضاً إياها بنظام التعويضات المالية والغرامات.

المبحث الثاني: نشأة روما والعهد الملكي والجمهوري

تأسست مدينة روما في وسط شبه جزيرة إيطاليا على ضفاف نهر التيبر في إقليم اللاتيوم عام 753 قبل الميلاد، وفقاً للروايات التاريخية والأساطير الرومانية الشائعة (أسطورة رومولوس وريمس).

1. العهد الملكي وتأسيس المجتمع (753 – 509 ق.م):

حكم روما خلال هذه الفترة سبعة ملوك متعاقبين. وكان المجتمع الروماني مقسماً إلى طبقتين رئيسيتين: طبقة **النبلاء/الفرسان (Patricians)** المحتكرين للثروة والسلطة والكهنوت، وطبقة **العوام (Plebeians)** من الفلاحين والتجار الذين لا يحق لهم تولى المناصب السياسية. وقام المشرع والملك السادس *سيرفيوس توليوس* بإعادة تقسيم السكان على أساس الثروة المالية بدلاً من النسب القبلي.

> 🏛️ **الثورة وسقوط الملكية وتأسيس النظام الجمهوري (509 ق.م)**
> نتيجة استبداد الملك الأتروسكي الأخير (تاركوينيوس المتعالي)، قام النبلاء برئاسة جونيوس بروتوس بثورة أطاحت بالملكية وأسست **النظام الجمهوري (Res Publica)**. ألغي منصب الملك واستُبدل بقنصلين ينتخبان سنوياً لضمان عدم الانفراد بالسلطة.

2. مؤسسات النظام الجمهوري الروماني:

- **القنصلان (Consuls):** أعلى سلطة تنفيذية وعسكرية في الدولة، يتولى كل منهما قيادة الجيش وإدارة الشؤون العامة لمدة سنة واحدة.
- **مجلس الشيوخ (Senate):** المؤسسة الأكثر نفوذاً في روما. يتكون من 300 عضو من كبار النبلاء والفرسان سابقاً، ويتولى إدارة السياسة الخارجية والمالية والتوجيه التشريعي.
- **نقباء العوام (Tribunes):** هيئة تأسست عقب صراع وطويل بين العوام والنبلاء، ويمتلك نقيب العوام حق النقض **(Veto)** ضد أي قانون يضر بحقوق العوام.
- **المجالس الشعبية:** تشمل المجلس المئوي (Centuriate Assembly) القائم على التقسيم العسكري، والمجلس القبلي.

3. الحروب البونية (Punic Wars) وتدمير قرطاجة (264 – 146 ق.م):

خاضت روما ثلاث حروب شرسة ضد الإمبراطورية التجارية الفينقية في قرطاجة (تونس الحالية) للسيطرة على حوض البحر المتوسط. شهدت الحرب البونية الثانية ملحمة القائد القرطاجي العبقري **هانيبال (Hannibal)** الذي عبر جبال الألب واجتاح إيطاليا. انتهت الحروب بتدمير قرطاجة بالكامل عام 146 ق.م، وتحول روما إلى القوة العظمى المطلقة في حوض البحر المتوسط.

المبحث الثالث: سقوط الجمهورية وتأسيس الإمبراطورية الرومانية

أدى التوسع الجغرافي التدفق الهائل للثروات والعبيد إلى أزمات اقتصادية واجتماعية داخل روما، تمثلت في انهيار الطبقة الوسطى من الفلاحين وظهور القادة العسكريين الطامحين للسلطة المطلقة.

1. عصر التحالفات الثلاثية والحرب الأهلية:

تدهورت المؤسسات الجمهورية إثر صراعات الحروب الأهلية وظهور التحالفات السريّة والعلنيّة بين القادة القائمين على أطراف الجيوش:

التحالف السيادي	أبرز أعضاء التحالف	مسار الصراع والنتائج التاريخية
الثلاثي الأول (60 ق.م)	يوليوس قيصر، بومبي، وكراسوس.	انتصار **يوليوس قيصر** وإعلان نفسه دكتاتوراً مدى الحياة، ثم اغتياله في مجلس الشيوخ (44 ق.م).
الثلاثي الثاني (43 ق.م)	أكتافيوس، ماركوس أنطونيوس، وليبيدوس.	تقسيم الإمبراطورية ثم اندلاع الصراع بين أكتافيوس وأنطونيوس المتحالف مع كليوباترا السابعة ملكة مصر.
معركة أكتيوم البحرية (31 ق.م)	أكتافيوس ضد أنطونيوس وكليوباترا.	انتصار أكتافيوس، انتحار أنطونيوس وكليوباترا، وسقوط مصر البطلمية ولاية رومانية.

2. قيام الإمبراطورية وعصر السلام الروماني (Pax Romana):

في عام 27 قبل الميلاد، منح مجلس الشيوخ أكتافيوس لقب **"أغسطس" (Augustus)** ولقب "برينكيبس" (المواطن الأول)، لتنتهي الجمهورية وتأسس الإمبراطورية الرومانية. شهد عهد أغسطس وخلفائه الأولين استقراراً وازدهاراً اقتصادياً وثقافياً عُرِف بـ "السلام الروماني".

3. إصلاحات دقلديانوس وقسطنطين والانقسام الإمبراطوري:

في القرن الثالث الميلادي، واجهت الإمبراطورية أزمات عسكرية واقتصادية طاحنة. قام الإمبراطور **دقلديانوس (Diocletian)** بتقسيم إدارة الإمبراطورية إلى أربعة أقاليم (نظام الحكم الرباعي - Tetrarchy). ثم جاء الإمبراطور **قسطنطين العظيم (Constantine)** الذي اتخذ خطوتين مفصليتين:

- إصدار مرسوم ميلانو (313 م) الذي منح الحرية الدينية للمسيحية وإنهاء اضطهادها.
- نقل عاصمة الإمبراطورية إلى الشرق وبناء مدينة **القسطنطينية (Constantinople)** عام 330 م.

وفي عام 395 م، قسّم الإمبراطور ثيودوسيوس الإمبراطورية رسمياً بين ولديه إلى إمبراطورية غربية (سقطت بعام 476 م على يد القبائل الجرمانية) وإمبراطورية شرقية (بيزنطية استمرت حتى 1453 م).

المبحث الرابع: الحضارة والقانون والتراث الروماني الخالد

تميز التراث الحضاري للرومان بالعملية والواقعية؛ فلم يتفوقوا في العلوم النظرية المجردة مثل الإغريق، ولكنهم أبدعوا في الإدارة، القانون، العمارة والتخطيط الهندسي الميداني.

1. القانون الروماني — أعظم هدية للبشرية:

يمثل القانون الروماني الدعامة الأساسية التي بنيت عليها التشريعات والمجالس القانونية الحديثة في أغلب دول العالم. وتطور عبر مرحلتين رئيسيتين:

قانون الألواح الاثني عشر (450 ق.م):

أول مدونة قانونية مكتوبة في روما، نُقِشت على 12 لوحاً برونزياً ونُصِبت في الساحة العامة (الفوروم) لضمان معرفة العوام بالقوانين وحمايتهم من تعسف النبلاء.

مدونة جوستنيان (Corpus Juris Civilis):

جمع وتصنيف الفقه والقوانين الرومانية في العهد البيزنطي في القرن السادس الميلادي، والتي جمعت بين القانون الطبيعي وقانون الشعوب والقانون المدني.

العمارة والخرسانة الرومانية:

ابتكر الرومان الخرسانة الهيدروليكية والأقواس والقباب. وبنوا منشآت ضخمة مثل مدرج **الكولوسيوم (Colosseum)** ومعبد البانثيون والحمامات العامة.

شبكة الطرق والقنوات المائية:

مدوا آلاف الكيلومترات من الطرق المعبدة الشهيرة مثل "طريق أبيوس" للربط العسكري والتجاري، وأقاموا جسور قنوات جلب المياه (Aqueducts) الهائلة.

2. الأدب والخطابة واللغة اللاتينية:

شكلت اللغة اللاتينية لغة العلم والإدارة في أوروبا لقرون طويلة. ووصل الأدب والخطابة ذروتهما في أواخر العهد الجمهوري ومطلع الإمبراطورية:

- **الخطابة والنثر:** برع خطيب روما الأكبر **شيشرون (Cicero)** في الخطب السياسية والفلسفية، وقاد يوليوس قيصر التدوين التاريخي العسكري في كتابه *"حرب الغال"*.
- **الشعر الملحمي:** خلد الشاعر **فيرجيل (Virgil)** تاريخ روما في ملحمته الخالدة *"الإنيادة" (Aeneid)* التي ربطت بين أبطال طروادة وتأسيس روما.

خاتمة السلسلة:

إن دراسة تاريخ اليونان والدولة الحيثية ورومانية تكشف عن خريطة التفاعل والتراكم الحضاري الذي شهدته الإنسانية؛ حيث انتقلت مشاعل الفكر والتنظيم والتكنولوجيا بين الشرق الأدنى والشرق الأوسط وحوض المتوسط لتشكل الأركان الأساسية للتاريخ الإنساني القديم.